مجلة أنثروبولوجيا P-ISSN: 041-2437
مجلد: **05** عدد: **10** السنة **2019** E-ISSN:2588-2325

التراث الحيوي البشري في مصر: الواقع، التحديات والرؤى التنموية المستقبلية

Human-bioheritage in Egypt: Realities, Challenges and future development visions

تامر جاد راشد

كلية الدراسات الافريقية العليا -جامعة القاهرة -مصر tamer.gad@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/07/17 تاريخ القبول: 2019/11/30 تاريخ النشر: 2019/12/25

ملخص:

يشير "التراث الحيوي البشري"، إلى البقايا البشرية الأثرية (مومياوات، عظام وأسنان)، وهو مصطلح يستخدم للمرة الأولى في هذه الورقة. فعلى الرغم من الثروة التي تمتلكها مصر من ذلك التراث الحيوي وخاصة المومياوات، والتي يتم استخراجها بشكل مستمر في الحفائر الأثرية، فإن الشباب في مصر، سواء من الطلاب الدارسين، أو الباحثين، أو حتى أعضاء هيئات التدريس المتخصصين في هذا النوع من التراث، يواجهون عددًا من التحديات عند دراسة ذلك التراث الحيوي البشري، مما يؤدي لعجز كبير في الإنتاج العلمي بهذا المجال.

استخدمت هذه الدراسة الاستبيان المختلط (المفتوح -المغلق) كأداة لجمع البيانات الميدانية من العينة البحثية، وتتكون من مجموعتين رئيسيتين؛ الأولى تتمثل في الطلاب والباحثين. أما المجموعة الثانية، فهي أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في مجال التراث الحيوي البشري. وأظهرت النتائج أن الدعم المادي المحدود، نظام التعليم غير الملائم، الروتين والتعقيدات المكتبية، والأشخاص غير المؤهلين العاملين في هذا القطاع يمثلون أهم التحديات التي تواجه الشباب المهتمين بهذا المجال. بالإضافة إلى ذلك، فقد تم استعراض بعض المقترحات التي من شأنها المساعدة في تخطي تلك التحديات، ويلي ذلك طرح مجموعة من الأفكار التي يمكن من خلالها الاستفادة من ذلك التراث الحيوي البشري في عمليات التنمية المستدامة للقطاعات المعنية بهذا المجال.

الكلمات المفتاحية: التراث،التراث الحيوي البشري، السياحة التعليمية، سياحة التراث الحيوي

Abstract:

'Human-bioheritage' refers to the archaeological human remains (bones, dentition, and mummies); it is a concept used for the first time in this study. Although frequently excavated human- bioheritage, and the wealth of human remains and mummies present in Egypt, the Egyptian youth whether students, researchers, or academic staff face several challenges in studying, investigating and publishing within this area of interest. Consequently, the present study adopted the mixed type questionnaire to collect the data from two groups of respondents; students and researchers as the first group, and the academic staff specialized in human-bioheritage studies. Results revealed that; limited financial support, inappropriate educational system, routine and unqualified individuals working within this sector are the main challenges facing youth. Additionally, suggestions to overcome the challenges, and proposed ideas for future development discussed.

Keywords: Heritage, Human-bioheritage, Educational-tourism, Bioheritage-tourism, Conference-tourism

مقدمة:

مما لا شك فيه، أن التنمية الناجحة لابد وأن ترتكز في المقام الأول على تنمية العنصر البشري. بشكل عام، تحسين المهارات والحد من التحديات تمثل الطرق الرئيسية لتنمية الشباب في أي قطاع. بالتالي، فقد ركزت هذه الورقة البحثية على التحديات التي تواجه الشباب في مصر بقطاعي التعليم والبحث العلمي في مجال التراث الحيوي البشري، وذلك سعيًا لتحقيق تنمية مستقبلية عبر هذا المجال بالغ الأهمية.

تُعَرِف منظمة اليونسكو التراث على أنه ينقسم لقسمين: تراث مادي ملموس، وتراث غير مادي غير ملموس. يتسم القسم الأول بأنه مرئي، ويمكن اكتشافه بسهولة؛ مثل المعالم والمواقع الأثرية. بينما، يصنف القسم الثاني إلى خمسة أنواع رئيسية: التقاليد الشفوية وأشكال التعبير، الفنون التمثيلية، الممارسات الاجتماعية والطقوس والمناسبات الاحتفالية، المعرفة والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والحرف التقليدية[1].

على الرغم من استخدام مصطلح التراث بشكل متكرر، سواء في الدراسات الأثرية أو الأنثروبولوجية، فإنه لا توجد أية دراسة سابقة قامت باستخدام مصطلح "التراث الحيوي البشري" على الإطلاق. بالتالي، فإن هذه الورقة هي الأولى من نوعها التي تعتمد وتطبق هذا المفهوم.

من الناحية المفاهيمية، يشير "التراث الحيوي البشري" إلى البقايا الأثرية البشرية المستخرجة أثناء عمليات التنقيب بالمواقع الأثرية. يمكن دراسة وتحليل هذا النوع الفريد من التراث من خلال أحد المداخل البحثية Approach لعلم الأنثروبولوجيا البيولوجية، وهو "المدخل البيوآركيولوجي" Bio-archaeology approach، ويسمى أيضًا مدخل الآثار الحيوي. حيث يمثل هذا المدخل مزيج من اثنين من العلوم المتكاملة، هما علم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا البيولوجية. ويتم استخدامه لدراسة التراث الحيوي البشري، ضمن سياقه الأثري بشكل شمولي Holistic perspective.

ينص قانون حماية الآثار المصري رقم (117) لسنة 1983، والمعدل بقانون رقم (3) لعام 2010، ثم بقانون (91) لعام 2018، على أن "البقايا البشرية هي مواد أثرية". أي أن هذه البقايا هي تراث. بالإضافة إلى ذلك، فقد ذكر Frerking [2] وزملاءه عام 2017، أن البقايا البشرية الأثرية تشكل فئة مهمة من التراث الثقافي.

على عكس ما يُعتَقد، فإن التراث بشكل عام لا يقتصر فقط على مجموعات تمثل الماضي. حيث أوضح Waterton [3] وزملائه في عام 2017، أن الأشكال التراثية تُعيد تشكيل شعور الإنسان بالانتماء، والشعور بالمكان، والهويات الثقافية. كما أن هذا التراث مثل اتصالا أو إعادة اتصال بالماضي النشط الذي يعيش في الوقت الحاضر.

علاوة على ذلك، لا يُعَد التراث الحيوي البشري مجرد مجموعة من المكونات البيولوجية المنتظمة أو المختلطة من عام ومومياوات، كما يعتقد البعض من غير المتخصصين. لكن العلماء المختصين في دراسة هذا النوع من التراث قاموا بتحديد أربعة أنواع مختلفة من الجسد أو بقايا الجسد الأثري الذي يتم التعامل معه، وهي: الجسد البيولوجي، الثقافي، الاجتماعي، والسياسي. بالتالي، فإن التراث الحيوي البشري لا يمثل فقط مصدرا للمعلومات البيولوجية، بل هناك أيضًا مجموعات من المعلومات الاجتماعية، الثقافية، والسياسية المدونة على ذلك التراث الحيوي البشري. بالتالي، فإن تلك البقايا البشرية هي فئة مهمة من التراث الثقافي.

إن إعادة بناء الحضارات القديمة تمثل الهدف الرئيسي للدراسات الأثرية. لكن دون دراسة الإنسان – صانع الحضارة – فإن عملية إعادة البناء هذه ستكون جزئية وغير مكتملة. لذلك، فإن دور المدخل البيوآركيولوجي يتمثل في دراسة وتحليل ذلك التراث الحيوي البشري للحصول على الصورة الكاملة، وهذه هو السبب في أهمية التراث الحيوي البشري.

بفضل الظروف البيئية الفريدة التي سادت مصر القديمة، وخاصة الأرض المصرية التي تميزت بتربتها الجافة والحارة، بالإضافة لعادات الدفن لدى المصريين القدماء الذين دفنوا موتاهم بعيدا عن مصادر المياه الجوفية في الأرض الجافة. بالتالي، فإن مصر المعاصرة تمتلك ثروة من التراث الحيوي البشري المحفوظ جيدا، وخاصة المومياوات التي تكونت وحُفِظَت تلقائيا بفضل عوامل الحفظ الطبيعية. علاوة على ذلك، يُعَد المصريون القدماء هم الشعب الوحيد الذي نجح في تحنيط أجساد موتاهم، تاركين بذلك أعدادًا هائلة من المومياوات التي تمكن علماء التراث الحيوي من خلالها من إعادة بناء الكثير من الجوانب الثقافية، الاجتماعية، الإيكولوجية، الدينية، البيولوجية، وغيرها عن الحضارة المصرية القديمة.

حتى وقت قريب، كان علماء الآثار المصريين مهتمين فقط وبشكل حصري بدراسة وتحليل المواد الأثرية غير البشرية؛ كالفخار، المخطوطات، العملات المعدنية، المصنوعات اليدوية، المجوهرات والحلي. وذلك مع قلة الاهتمام النسبي بالبقايا البشرية المستخرجة من

المواقع الأثرية. منذ بضع سنوات، كان هناك تحول ملحوظ نحو مجال الرفات البشرية. فأصبح هناك اهتمام متزايد من الباحثين المصريين وخاصة علماء الآثار في دراسة المدخل البيوآركيولوجي كي يكون لديهم القدرة على التعامل مع البقايا البشرية المستخرجة عن طريق البعثات الأثرية أثناء أعمال التنقيب عن الآثار.

لسوء الحظ، يواجه الشباب المصري المهتم بمجال التراث الحيوي البشري التحديات التي تعيق تقدمهم في هذا المجال، على الرغم من أن غالبية المنشورات العلمية والأبحاث حول المصريين القدماء قد تم تنفيذها بواسطة باحثين أجانب (على سبيل المثال: Horne, [4] 2002؛ Wheeler, 2010[5]؛Buzon& Smith, 2019[6])، وأن مساهمة العلماء المصريين محدودة للغاية (مثال: Shaaban, 2005[7]؛ Abd-Elsalam, 2010[8]؛ Rashed, 2013[9]). مع ذلك، فإنه لم يتم إجراء أي دراسة من قبل كي تتحقق من الحالة التي يوجد عليها دراسات التراث الحيوي البشري في مصر. وبالتالي، فإن هذا البحث هو أول من يتناول التحديات التي تواجه الباحثين والدارسين في قطاع التراث الحيوي البشري بمصر.

- **مشكلة الدراسة**

بالرغم من كثرة المواقع الأثرية التي يتم التنقيب عنها وكشفها في مصر، والكميات غير العادية من التراث الحيوي البشري المستخرج من تلك المواقع. إلا أن:

1) يواجه الشباب في مصر الكثير من التحديات كي يقوم بدراسة المدخل البيوآركيولوجي اللازم لدراسة التراث الحيوي البشري.

2) يتم نشر قدر كبير من الأدبيات العلمية التي تدرس التراث الحيوي البشري لمصر من قِبل باحثين أجانب. في الوقت نفسه، فإن الإنتاج العلمي للباحثين المصريين في هذا المجال محدود للغاية.

3) لا يتم الاستفادة من التراث الحيوي البشري الفريد للمصريين القدماء بشكل ملائم لتحقيق أي نوع من التنمية المستدامة، سواء للشباب أو للقطاعات المعنية بهذا المجال.

بالتالي، فإن تلك المحاور الثلاثة هي الأساس الذي تقوم عليه هذه الورقة البحثية.

- **فرضيات الدراسة.**

تختبر هذه الدراسة ثلاث فرضيات رئيسية، وهي:

(1) الدعم المالي المحدود والتعقيدات الروتينية تُعَد من أهم التحديات التي تواجه جميع الباحثين والمتخصصين من أعضاء هيئة التدريس.

(2) النظام التعليمي يمثل أهم التحديات التي تواجه الطلاب والباحثين.
(3) الأفراد غير المؤهلين وغير المتخصصين المسؤولين عن تراثنا الحيوي البشري هم السبب الرئيسي لسوء الاستخدام وعدم الانتفاع بهذا التراث بالشكل الأمثل.

- **أهداف الدراسة.**

يتمثل الهدف الرئيسي من هذه الدراسة في الكشف عن التحديات التي تواجه الشباب في مصر، سواء في التعليم أو البحث العلمي، الذي يستهدف التراث الحيوي البشري للمصريين القدماء. بالإضافة إلى مناقشة كيفية الاستفادة من ذلك التراث الفريد في عمليات التنمية.

ولتحقيق هذه الأهداف سوف يتم ما يلي:
1) استخدام الاستبيانات، وذلك لجمع البيانات المطلوبة ممن الطلاب والباحثين وأعضاء هيئات التدريس المتخصصين في التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي.
2) صياغة بعض الأفكار والمقترحات القابلة للتطبيق، بشأن كيفية الاستفادة من التراث الحيوي البشري في التنمية المستدامة للقطاعات المعنية بهذا الشأن.

- **العينة البحثية ومنهجية البحث.**

مسح الأدبيات السابقة

سيتم عمل دراسة استقصائية كاملة في قواعد بيانات بنك المعرفة المصري Egyptian Knowledge Bank وباحث جوجل العلمي Google Scholar، وذلك لجمع الأدبيات ذات الصلة بوضع التراث الحيوي البشري في مصر والقضايا التي يواجهها، بالإضافة لحالة دراسات البيوآركيولوجي في مصر.

جمع البيانات والعينة البحثية

سيكون الاستبيان المختلط الذي يحتوي على كل من الأسئلة المغلقة والمفتوحة هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات بهذه الدراسة. علاوة على ذلك، سيتم الاعتماد على الملاحظة الحرة كأداة فرعية لجمع البيانات.

أما بالنسبة لعينة الدراسة، فهي عشوائية منتظمة، تتكون من (140) فردًا، مقسمين إلى مجموعتين؛ تتكون الأولى من (135) طالبًا وباحثًا ومفتشًا أثريًا يدرسون و/ أو يعملون في

مجال الآثار المصرية والأنثروبولوجيا. أما المجموعة الثانية، فتتكون من أعضاء أكاديميين متخصصين في مجال التراث الحيوي البشري. حيث سيكون لكل مجموعة استبيان مختلف.

تحليل البيانات

بما أن الاستبيان المستخدم من النوع المختلط، لذلك فإن الدراسة الحالية ستقوم بعمل كل من التحليل الكيفي، والتحليل الكمي الذي سيتم بإستخدام مايكروسوفت إكسيل.

- **النتائج والمناقشة.**

كشفت الدراسة الاستقصائية للأدبيات السابقة عن وجود غياب تام للدراسات التي تبحث في حالة التراث الحيوي البشري، والتحديات التي تواجه الشباب في هذا القطاع. بالتالي، فإن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها التي تبحث وتناقش هذا الموضوع المهم.

كما ذكرنا سابقا، تمثلت المجموعة الأولى من الدراسة ب (135) فردا. حيث أجاب كل منهم على الاستبيان الأول الذي يتكون من (6) أسئلة، مصممة لقياس معايير محددة، مثل إلى أي مدى يعرفون مجال البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري، الحصول على مقررات متعلقة بالتراث الحيوي البشري بالجامعات، مصادر معلوماتهم، التحديات التي تواجههم بهذا المجال، وأخيرا مقترحاتهم لتخطي تلك العقبات ورؤيتهم المستقبلية لهذا المجال في مصر.

من المثير للدهشة، ما أظهرته النتائج بأن الغالبية العظمى (85%) من أفراد عينة البحث ليس لديهم أية معرفة بالتراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي (شكل 1). كما أن (87%) لم يحصلوا على أي مقرر بالجامعة عن التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي. أما النسبة المتبقية (13%)، فكان لديهم قدر قليل من المعرفة بهذا المجال، والتي تحصلوا عليها من خلال بعض المقررات العامة والدورات التدريبية الخاصة (شكل 2). نتيجة لذلك، نجد أن هناك مجموعة متنوعة من المصادر التي من خلالها اكتسب الباحثون معارفهم حول التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي.

شكل (1) نسبة الأفراد الذين لديهم معرفة بالتراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي

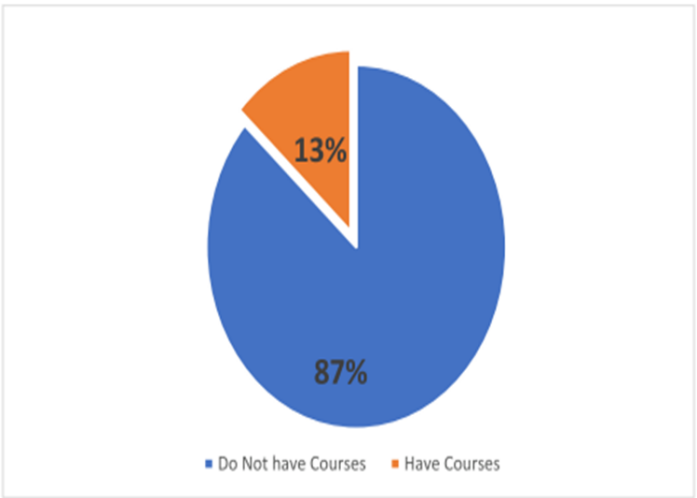

شكل (2) نسبة الأفراد الذين حصلوا على مقررات في التراث الحيوي البشري

في الواقع، ليس من المُستغرب الحصول على مثل تلك النسب (87%، 85%) الذين لم يحصلوا على أي مقرر متخصص، أو الذين ليس لديهم أي معرفة عن البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري، على الترتيب. وذلك لوجود نقص كبير في عدد الأقسام الأكاديمية التي تقدم مقررات متخصصة في التراث الحيوي البشري بالجامعات المصرية. حيث أنه داخل جامعة القاهرة فقط، يقدم قسم الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا، مقررات متخصصة في دراسة التراث الحيوي البشري لطلاب الدراسات العليا.

أما بالنسبة لمصادر المعلومات التي يعتمد عليها الطلاب لاكتساب المعرفة حول التراث الحيوي البشري، فقد وُجِدَ أن مصادر الإنترنت مثل؛ الكتب والدوريات الإلكترونية، وسائل التواصل الاجتماعي، المدونات ومقاطع فيديو اليوتيوب، كانت أكثر مصادر المعلومات استخداما بنسب 41%، 41%، 35%، 29% على الترتيب. بينما اعتمد 30% و28% فقط من أفراد عينة البحث على وزارة الآثار والجامعة كمصدر للمعلومات على الترتيب (شكل 3). في الواقع، دفع النقص الملحوظ في البرامج الأكاديمية المتخصصة بالجامعات المصرية، والافتقار الكامل للخبراء الأكاديميين بوزارة الآثار، الباحثين إلى إيجاد بدائل أخرى لاكتساب المعرفة والتدريب في مجال التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي. بالتالي، فقد لجأ هؤلاء الباحثون إلى مصادر الإنترنت باعتبارها البديل الأنسب والاكثر توافرًا.

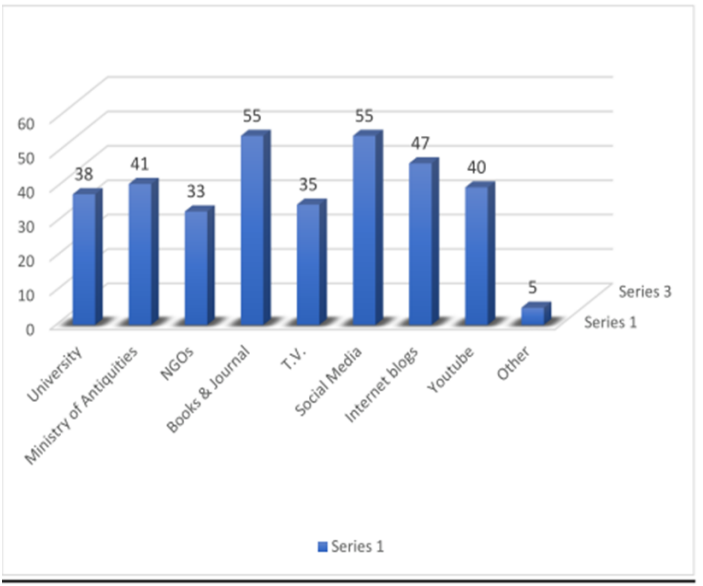

شكل (3) مصادر المعلومات للطلاب والباحثين

برز من خلال هذه الدراسة موضوعان رئيسيان يعكسان التحديات التي تواجه الطلاب والباحثين، ويمكن تلخيصهما على النحو التالي:

(1) القواعد والتعقيدات الروتينية بوزارة الآثار، والتي يعكسها ما يلي:

• الدعم المادي المحدود جدا أثناء أعمال الحفائر.

• عدم وجود مدارس ميدانية Field Schools لوزارة الآثار لتدريب الباحثين على كيفية التعامل مع التراث الحيوي البشري.

• غياب الخبراء الأكاديميين المختصين أثناء أعمال الحفائر بالمواقع الأثرية.

• الصعوبة البالغة في إيجاد فرص للتدريب مع البعثات الأجنبية العاملة في مصر.

• غياب التعاون مع وزارة التعليم العالي في هذا المجال الحيوي.

• التخزين السيء لعناصر التراث الحيوي البشري، سواء في المخازن أو المتاحف.

• هيمنة البعثات الاجنبية على العمل الميداني والحفائر في مصر، وخاصة في مجال البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري.

• أصبح مجال البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري محصورًا على مجموعة من الأفراد المحدودين، غير المؤهلين تأهيلًا جيدًا، مما يعني أنه يسير تبعا لتوجهات شخصية وليست مؤسسية.

(2) النظام التعليمي، والمتمثل في:

• غياب البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري كمقرر إلزامي لطلاب علم الآثار في جميع الجامعات المصرية.

• قلة الوعي لدى طلاب المدارس والجامعات بأهمية التراث الحيوي البشري.

• عدم وجود قسم مختص بالجامعات المصرية لدراسة البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري.

• الندرة الملحوظة في عدد الأكاديميين المتخصصين في التراث الحيوي البشري. بالتالي، تدعو بعض الأقسام الأكاديمية الأفراد غير المتخصصين وغير المؤهلين لتدريس بعض المفاهيم حول التراث الحيوي البشري.

من ناحية أخرى، تتكون المجموعة الثانية من (5) أعضاء أكاديميين متخصصين بمجال التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي. وقد أجاب جميعهم على الاستبيان الذي يتكون من (5) أسئلة مرتبة لقياس: عدد الأوراق البحثية المنشورة في السنوات العشر الأخيرة؛ مصادر حصولهم على المعلومات؛ التحديات الرئيسية التي تواجههم؛ الحلول المقترحة؛ وأخيرًا النظرة المستقبلية للتراث الحيوي البشري في مصر.

المثير للدهشة فيما أظهرته النتائج هو، أن 40% من هؤلاء المتخصصين لم ينشروا أي ورقة بحثية، 20% نشروا ثلاث ورقات، 20% نشروا تسع ورقات، وأخيرا 20% نشروا ثلاثة عشر ورقة في غضون السنوات العشر الأخيرة (شكل 4). ويُعزَى هذا النقص الملحوظ في الإنتاج العلمي بشكل رئيسي إلى الدعم المالي المحدود والمعامل غير الملائمة التي يتم استخدامها لدراسة التراث الحيوي البشري.

وفقًا للمصادر التي يحصلون منها على معلوماتهم، كشفت النتائج أن جميعهم يعتمد على الكتب والمنشورات العلمية، بينما 80% يستخدم وسائل التواصل الاجتماعي والمدونات لهذا الغرض، 60% يعتمد على اليوتيوب، و20% فقط يتواصلون بشكل شخصي مع العلماء والمتخصصين في التراث الحيوي البشري في جميع انحاء العالم لزيادة وتطوير معارفهم (شكل 5).

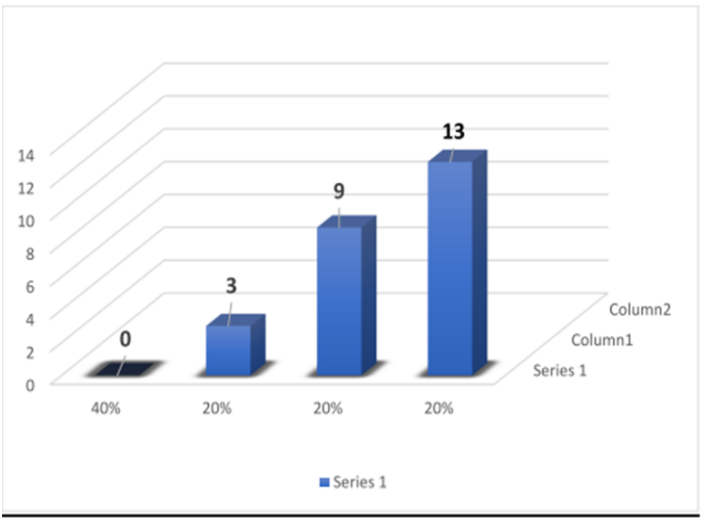

شكل (4) عدد المنشورات العلمية في العشر سنوات الأخيرة

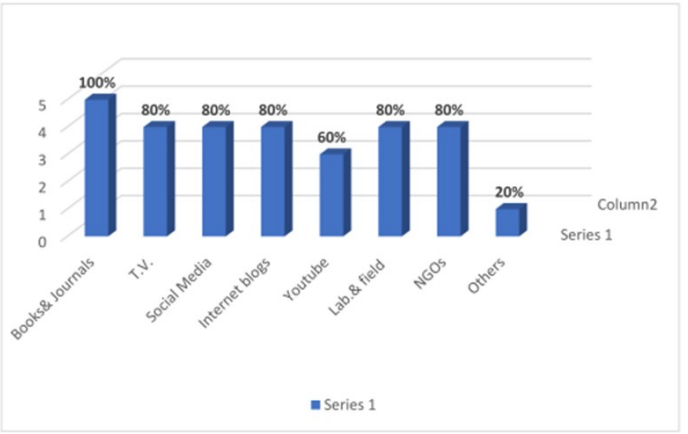

شكل (5) مصادر المعلومات للمتخصصين الأكاديميين

من ناحية أخرى، تعاني هذه المجموعة من المتخصصين من مواجهة مجموعة من التحديات التي يمكن إيجازها فيما يلي:

• الدعم المادي المحدود جدا.

• الغياب التام للبرامج الأكاديمية المختصة بالتراث الحيوي البشري بالجامعات المصرية كافة.

• القيادات والعاملين بوزارة الآثار لا يولون أي اهتمام بالتراث الحيوي البشري.

• عدم إصدار أي دورية علمية متخصصة في التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي في مصر.

• قواعد الالتحاق والقبول بأقسام الأنثروبولوجيا البيولوجية تعوق قبول طلاب كليات الآثار لدراسة هذا التخصص.

• غياب التعاون والتنسيق بين وزارتي التعليم العالي والآثار من أجل إدارة ملف التراث الحيوي البشري بشكل علمي سليم وتحقيق الاستفادة منه.

• بالرغم من الأعداد الكبيرة من عناصر التراث الحيوي البشري الذي يتم الحصول عليه أثناء أعمال الحفائر، إلا أن القليل فقط ما يكون متاح لإجراء الدراسة والبحث العلمي. ويرجع ذلك في المقام الأول إلى صعوبة الحصول على الموافقات المطلوبة من قبل اللجنة الدائمة للآثار المصرية، وخاصة للباحثين المصريين؛ وذلك لأن تشكيل هذه اللجنة يعوزه

متخصص أكاديمي في مجال التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي، كي تكون لديها القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة فيما يتعلق بهذا القطاع المهم من التراث والآثار المصرية.

• حتى بداية العام الدراسي 2014-2015، لم يكن هناك أي مقرر عن البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري يتم تدريسه للطلاب في المرحلة الجامعية.

عموما، أظهرت النتائج أن كلتا المجموعتين الخاضعين للدراسة قد اشتركا في ثلاثة تحديات تواجه قطاع التراث الحيوي البشري، وهي؛

(1) عدم وجود رؤية واضحة لواقع ومستقبل التراث الحيوي البشري في مصر.

(2) وجود كم هائل من المصطلحات والمفاهيم باللغة الإنجليزية في مجال التراث الحيوي البشري، مع عدم وجود أي محتوى علمي باللغة العربية لهذا المجال، مما يمثل عائق كبير أمام الكثير من طلاب وباحثي الآثار لراغبين في دراسة التراث الحيوي البشري.

(3) نقص الوعي لدى الغالبية العظمى من المصريين حول طبيعة وأهمية هذا النوع من التراث.

بالإضافة إلى ذلك، أبدت كلتا المجموعتين مجموعة من المقترحات القابلة للتطبيق على أرض الواقع، والتي من شأنها تخطي تلك التحديات السابق ذكرها، ومن تلك المقترحات ما يلي:

- توفير الدعم المادي المطلوب لإجراء البحث العلمي وأعمال الحفائر.
- إنشاء معامل مجهزة ومتخصصة في دراسات التراث الحيوي البشري.
- استحداث برامج علمية متخصصة ففي البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري لطلاب الدراسات العليا، مع ضرورة تطبيق مقرر إلزامي للتراث الحيوي البشري على طلاب المرحلة الجامعية بكليات الآثار ومثيلاتها.
- لابد من تطبيق نمط تعليمي يعتمد على التدريب الميداني، وليس التعليم النظري فقط. وذلك لأن دراسة التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي لا يمكن أن تقوم على الشق النظري فقط دون تطبيق عملي.
- إبرام اتفاقيات تعاون مع الجامعات والمؤسسات الأجنبية المناظرة، وذلك لتبادل الخبرات والتقنيات الحديثة في مجال التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي.
- لابد من وجود عضو أكاديمي متخصص في الانثروبولوجيا البيولوجية، وخاصة البيوآركيولوجي ضمن تشكيل اللجنة الدائمة للآثار المصرية، وذلك كي يتعامل بشكل مناسب مع تلك القضايا المتعلقة بالتراث الحيوي البشري في مصر.

- ضرورة إتاحة التراث الحيوي البشري الموجود بمخازن وزارة الآثار وكليات الآثار المختلفة للباحثين المصريين لإجراء الدراسات العلمية، دون أي تعقيدات مكتبية وإدارية.
- العمل على إيجاد تعاون بين وزارتي الآثار والتعليم العالي، من أجل توفير تدريب ميداني مستمر للعاملين في مجال الآثار على أيدي المتخصصين الأكاديميين بهذا المجال.
- إنتاج محتوى علمي باللغة العربية، كالكتب وأدلة العمل الميداني، في البيوآركيولوجي والتراث الحيوي البشري.

أما بالنسبة للرؤية المستقبلية لمجال التراث الحيوي، فقد شهد تنوع كبير في الآراء بين المشاركين. فقد أشار البعض أنه لا مستقبل لمثل هذا النوع من المجالات في مصر. بينما ذكر البعض الآخر عدم القدرة على التنبؤ برؤية واضحة، في حين توقعت المجموعة الأخيرة مستقبل ناجح جدا لهذا النوع من الدراسات.

ليس من المعقول أن تكون مصر إحدى الدول الأغنى في العالم فيما تملك من تراث حيوي بشري، وفي الوقت نفسه تفتقر إلى القدرات والأفراد المؤهلين في هذا المجال. بالتالي، لم يعُد الأمر مسألة اختيار، بل أصبحت ضرورة حتمية أن يتم تطوير هذا المجال المهم في مصر، وذلك من أجل امتلاك القدرة على حفظ ذلك التراث ودراسته، والاستفادة منه بالشكل الأنسب في التنمية المستدامة.

- **مقترحات لأجل تنمية مستقبلية.**

في عام 2003م، ذكر أرمي لاجوس Armelagos [10]؛ وهو أحد العلماء المختصين بدراسة التراث الحيوي البشري، "أننا سنصبح من الأثرياء عندما نستخدم الرؤى والشواهد المستمدة من الماضي كمقدمة واستهلال للمستقبل". وفي عام 2019م، قال ويبر ندورو Ndoro؛ مدير منظمة إيكروم للتراث والآثار: "لقد حان الوقت لفتح المجال أمام الإمكانات الواعدة التي يقدمها التراث لتوفير حياة كريمة ومعيشة أفضل للمجتمعات ... يتعلق التراث بما يحدث حولنا اليوم، يجب على الشباب أن يرى الفرص في التراث".

لذلك، بالإضافة للاقتراحات السابق ذكرها للتغلب على التحديات المعاصرة التي تواجه الشباب في قطاع التراث الحيوي البشري، تقترح هذه الدراسة بعض الأفكار التي من شأنها أن تؤدى إلى التنمية المستقبلية للبحوث وقطاع التراث الحيوي البشري ككل. ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

1) استحداث نوع جديد من السياحة، وهي سياحة التراث الحيوي البشري التي تقوم على المومياوات والبقايا البشرية الفريدة للمصريين القدماء. وذلك في أقسام خاصة داخل المتاحف المصرية، والتي من شأنها فتح اتجاه جديد في السياحة المصرية.

2) بناء متحف جديد أو تخصيص أحد المتاحف القائمة بالفعل، وذلك لعرض بعض الأجزاء من التراث الحيوي البشري بها. من ثم عمل برامج سياحية لتوجيه السائحين لزيارة تلك الأماكن.

3) تفعيل "سياحة المؤتمرات" التي من شأنها التركيز على التراث الحيوي البشري للمصريين القدماء. حيث ينبغي أن يشتمل برنامج المؤتمر على تنظيم بعض الأحداث والفعاليات العلمية، مثل ورش العمل، ومناقشات الطاولة المستديرة، والتي سَتُعقَد داخل المتاحف التي تحتوي على التراث الحيوي البشري. بحيث يتم دفع تكلفة هذه الفعاليات مسبقًا كجزء من إجمالي رسوم المؤتمر، ثم بعد ذلك يتم اقتطاع ذلك الجزء من التكلفة وتوجيهه إلى تطوير وتنمية المتاحف وقطاع التراث الحيوي البشري بأكمله.

4) تفعيل "السياحة التعليمية" من خلال التعاون بين وزارتي الآثار والتعليم العالي. حيث يمكن تحقيق ذلك من خلال تنظيم "مدارس ميدانية" Field Schools في التراث الحيوي البشري البيوآركيولوجي، للطلاب والباحثين المصريين والأجانب، والتي من خلالها سيحصلون على التدريب الميداني لدراسة التراث الحيوي بأشكاله وعناصره كافة. علاوة على ذلك، ينبغي أن يتضمن البرنامج التدريبي مجموعة من الزيارات للمتاحف التي تحتوي على التراث الحيوي البشري. ومما لا شك فيه، أن كل ذلك سوف يكون مصدرًا للدخل الذي يتم توجيهه بعد ذلك لعمل تنمية مستدامة لهذه القطاعات والعاملين بها.

5) تشجيع ودعم البحوث المشتركة مع المؤسسات الأجنبية. ببساطة، تمتلك مصر المادة الخام المتمثلة في التراث الحيوي البشري. أما الجانب الأجنبي، فلديه الإمكانات المادية والتقنية. بالتالي، ستكون هناك منافع متبادلة للطرفين، والتي من خلالها يمكن تنمية القطاع بالكامل.

بالتالي، سوف تساهم الاقتراحات المذكورة سابقا في تنمية الشباب والمؤسسات المعنيين بهذا الشأن، سواء عن طريق الدعم المالي المستهدف تحقيقه من الدخل الإضافي عبر الآليات السابقة و/ أو التقنيات الجديدة التي يتم استيرادها من الشركاء الأجانب.

خاتمة:

هناك الكثير من التحديات التي تواجه الشباب المصري المهتم بقطاع التراث الحيوي البشري. ولا يأتي التغلب على هذه التحديات إلا بتوفر الدعم المادي المناسب، وتغيير عقلية المسؤولين والعاملين بهذا القطاع، وتعديل الروتين والتعقيدات المكتبية. علاوة على ذلك، فإن تبني أفكار خلاقة للاستفادة من التراث الحيوي البشري، يمكن أن يحقق تنمية مستدامة للقطاع بأكمله.

إن التطوير والتنمية الحقيقية هي تلك التي تعتمد بشكل أساسي على بناء القدرات، أي تحسين مهارات ومؤهلات الأفراد. بالتالي، فإنه من أجل التغلب على التحديات وتحقيق التنمية المستدامة في قطاع التراث الحيوي البشري، يجب أن يكون الشباب جزءًا من هذه العملية، وليس بمعزل عنها.

الهوامش

[1] - UNESCO. The Convention for the Safeguarding of Intangible Cultural Heritage. http://www.unesco.org/new/en/santiago/culture/intangible-heritage/convention- intangible-cultural-heritage/ At March 25, 2019.
[2] - FrerkinG, C. and Gill-Frerking, H. "Human remains as heritage: Categorization, legislation and protection", Art, Antiquity& Law, Vol. 22, Issue 1, 2017, Pp. 49-73.

[3] - Watertone, E., Watson, S. and Silverman, H. "An introduction to heritage in action". In: Silverman, H., Watertone, E., Watson, S. (Eds.) Heritage in action: Making the past in the present, Springer, USA, 2017, Pp.3-18.
[4] - Horn, P.D. "First evidence of enterobiasis in ancient Egypt", Journal of Parasitology, Vol. 88, Issue 5, 2002, Pp. 1019-1021.
[5] - Wheeler Sandra. "Nutritional and disease stress of juvenile from the Dakhleh Oasis, Egypt", International Journal of Osteo-archaeology, Vol.22, Issue 2, 2010, Pp. 219-234.
[6] - Buzon, Michele and Smith Tyson. "Social status and health at the Egyptian fortress Taroy: Exploring variability in the Tombos cemetery", Proceedings of the International Conference of Bio-archaeology of ancient Egypt, The American University in Egypt, January 10-13, 2019. Cairo, Egypt.
[7] - Shaaban Moheb. "Dental evidence of health and disease in ancient Egypt", the journal of African Studies, Institute of African Research and Studies, Cairo University, Egypt, occasional paper series, 2005, No. 70.

[8] - Abd-Elsalam Marwa. "A study of the late Dynastic skulls from the Dakhleh Oasis, Egypt and their biological affinity to ancient Nubians", M.A. Thesis, Cairo University, 2010.
[9] - Rashed, Tamer Gad. "Diet and dental pathology: A comparative study between the inhabitants of late Dynastic Dakhleh Oasis and the Nubians", Ph.D. Dissertation, Cairo University, 2013.
[10] - Armelagos George. "Bio-archaeology as anthropology". In: Gillespie, S. D. & Nichols, D. L. (Eds.) "Archaeology is anthropology", Washington DC: Archaeological Papers of American Anthropological Association, No. 13, 2003, Pp. 27-41.